﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

استثمار الأحوال والأوقات المناسبة للوعظ والنُّصح

بعد أن أثنى الله سبحانه فيما مضى على عباده المؤمنين بإقبالهم على عبادته في أشدِّ الآناء، ومراقبتهم إيّاه بالخوف والرَّجاء، وبتمييزهم بصفة العِلم والعقل والتَّذكُّر، بخلاف حال المشركين في ذلك كلِّه؛ أتبع ذلك بأمر رسول الله ﷺ بالإقبال على خطابهم للاستزادة من ثباتهم ورباطة جأشهم[1]، فأمره أن ينصحَ المؤمنين بتقوى الله وطاعته والمداومة على ذلك والصَّبر عليه، ولو بالاغتراب عن بلدانهم؛ إن تعذَّرت عليهم الطاعة فيها، فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَرْضُ﴾: (أرض) أصل يُطلق على كلِّ شيء يسفُل، ويقابل السَّماء، والأرض: التي نحن عليها، وتجمع أرضين، ولم تجئ في كتاب الله مجموعة[2].

2) ﴿وَٰسِعَةٌۗ﴾: (وسع) أصل يدل على انفساح وانبساط في جوف الشَّيء الملتحم ليضُم ما يوضع فيه[3]، فهو خلافُ الضّيقِ والعُسْر، يُقالُ: وسُعَ الشَّيءُ، واتَّسَعَ[4]، والوُسْعُ، بالضَّمِّ: الطاقة، وهو: كلُّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 352.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أرض).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (وسع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وسع).

مُخْتَزَنٍ في باطن الإنسان من قدرة[1]، والسَّعَةُ تقال في الأمكنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾، وفي الحال نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: 7]، وفي الفعل كالقدرة والجود نحو قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: 236][2].

3) ﴿يُوَفَّى﴾: (وفى) أصل يدل على نموّ أو زيادة يبلغ بها الشَّيء تمام قوامه[3]، فهي كلِمَةٌ تَدُلُّ على إكمالٍ وإتمام، ومنه الوفاءُ: وهو إتمامُ العَهدِ وإكمالُ الشَّرطِ، ويقولونَ: أوفَيتُكَ الشَّيءَ؛ إذا قَضَيتهُ إيّاهُ وافيًا، وتَوفَّيتُ الشَّيءَ، واستَوفَيتُهُ؛ إذا أخَذتَهُ كُلَّهُ حتَّى لم تَترُكْ منه شيئًا، ومنه يُقالُ للمَيِّتِ: تَوفّاهُ اللّهُ[4]، أي: أخذ ما كُتِبَ له في الدُّنيا وافيًا، لا ينقص منه شيء، والمرادُ بتوفيَةِ الأجر في الآية: استيفاؤُهُ، أي: تناوله وافيًا تامًّا[5] لا نقيصَةَ فيه ولا غبنَ.

4) ﴿حِسَابٍ﴾: الحساب في الأصل جمع ما هو منتشر في حيِّزٍ يضمُّه حتّى يمتلئَ به، إلى حدِّ الكفاية، ومنه الحُسبان، بالضَّمِّ: سهام صغار، واحدها بتاء، يُحْشَى نحو عشرين منها في جَوف قصبة، ويُرمى بها، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: 40]، والحساب: العَدُّ؛ لأنَّك تَصِلُ بالعدِّ إلى تمام المعدود، والمحاسبة: عَرْض كلِّ أعمال الشَّخص بجمعها، ثم تقويمها، واسم الله ﷻ (الحسيب)، أي: الكافي، فعيل بمعنى مُفْعِل، مِن أحسَبَ: يكفي عبده في جميع أحواله وأشغاله، أو بمعنى المحاسب، من حاسَبَ أو من حسب[6]، واحتَسَبَ فُلانٌ ابنَهُ، وذَلِكَ أن يَعُدَّهُ في الأشياء المَذخورَةِ لَهُ عند الله تعالى، والحِسبَةُ: احتِسابُكَ الأجرَ[7]، وأطلق على عدِّ الأشياء التي يُراد الجزاء عليها أو قضاؤها، فصار الحساب يُطلق على الوفاء بالحقِّ، يُقال: حاسبه، أي: كافأهُ، أو دفع إليه حقَّه، ومنه سُمّي يوم القيامة يوم الحساب[8]، وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كناية عن الوفرة والتَّعظيم[9].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (وسع).
(2) الراغب، المفردات: (وسع).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (وفى).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وفى).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 355.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حسب).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسب).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 249.
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 355.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا خلق أوفى أجرًا من الصَّبر بكلّ أنواعه

يأمر الله تعالى رسوله محمَّدًا ﷺ قائلًا له: ﴿قُلْ﴾ - يا مُحمَّدُ - لعبادي المؤمِنينَ: اتَّقوا رَبَّكم الَّذي خلقكم، ويرزقكم لِلَّذين أحسنوا العَمَلَ في هذه الحياةِ الدُّنيا حسنة جزاء إحسانه، وأرضُ اللهِ واسعة فَسيحةٌ، وبلادُه كَثيرةٌ، فإذا عجَزْتُم عن عبادتي في أرضٍ؛ فتحَوَّلوا إلى بلادٍ أخرى غيرها، تتمَكَّنونَ فيها مِنَ العبادةِ؛ إذ لا عُذرَ لأحَدٍ في تَركِ الهجرةِ عند توفُّر مقتضياتها وحدوث دواعيها، فـ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم﴾؛ لأنَّ الصّابرين وحدهم دون غيرِهم يُعطَونَ أجرهم تامًّا كثيرًا ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أي: بغيرِ حَدٍّ ولا عَدٍّ ولا مُحاسَبَةٍ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصل الآية عن سابقتها:

التَّثبيتُ بالإيناس، وبيان الاحتراس من تأثير كثرة المخالف وتثبيط الموالف

قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ كلام مستأنف، كما ينبئ عنه الأمر: ﴿قُلْ﴾، قُصِد به تثبيت المُخاطَب من قِبَلِ أفضل مُجانِس، وتأنيسه من جهة أعظم مُشاكِل ﷺ؛ ليكونَ ذلك أسكنَ للقلبِ وأشرح للصَّدر؛ احتراسًا عمّا قد يعرض للقانتين من الكسل والخمول؛ بسبب كثرةِ المخالفين لهم، ولهذا فُصِل عمّا قبله.

دلالةُ فعل الأمر﴿قُلْ﴾:

الوجوبُ على الفور وأهمّيَّة تبليغ مقول القول بلفظه

فعل الأمر ﴿قُلْ﴾ يفيد الوجوب على الفور، ويفيد كذلك تعيين المقول بلفظه الذي أوحي به، وهو جملة النِّداء وما في حيِّزها، فلا يزيد عنه المُبلِّغ ﷺ، ولا ينقص، أي: أبلغهم هذا البلاغَ، وقل لهم هذا القول بمجرَّد توجيهه إليك لأهمّيَّته، والمعنى: قُل لهم قولي هذا بعينه، فإنَّ نقلَ عينِ أمرِ الله أدخلُ في إيجابِ الامتثالِ به[1].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 246.

نكتةُ حذف المخاطَب المأمور بالقول في قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾:

العلم بالمُخاطَب لظهور فضله وشرفه

المأمور بالقول والمخاطَب به هو الرَّسول ﷺ أصالة، وإنَّما لم يُذْكَرْ صراحةً للعلم به؛ إذ هو المخصوصُ بالخطاب ما لم يدلَّ دليلٌ على غير ذلك، لظهور فضله وشرفه، بل هو المخاطَب بالوحي كلِّه بداهة ﷺ، بل هو المستحقُّ لشرف الخطاب الإلهيِّ، ويدخل في هذا الأمر بالقول والخطاب به تَبَعًا كلُّ مَن كان على سبيله ﷺ، واستَنَّ بسنَّته، فإنَّه عليه أن يقول ذلك لعباد الله المؤمنين.

فائدة إعادة الأمر بقوله: ﴿قُلْ﴾:

تعيينُ المقول وكونه جنسًا مغايرًا لسابقه

فائدة إعادة لفظ ﴿قُلْ﴾ هنا، وقد سبق عمّا قريب في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما سبق ذكره من تعيين المقول، والفوريَّة في البلاغ، ويضاف إليه كون المقول هنا جنسًا آخر مغايرًا للمقول الَّذي قبله[1].

بلاغةُ أسلوبِ النِّداء في قولهِ: ﴿يَٰعِبَادِ﴾:

لفتُ انتباه السّامع الموصوف بالعبوديَّة والإيمان

لما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأمرَ عباده المؤمنين بالتَّقوى؛ أمره أن يناديَهم؛ ليبلِّغهم أمرَ الله لهم بذلك، لما في أسلوب النِّداء من لفت انتباه المنادَى السّامع الموصوف بالعبوديَّة والإيمان، وتنبيه الغافل منهم، ليُقبل على مَن يناديه بكلّيَّته، وينتبه لما سيقوله له.

غرضُ النِّداء بـ(يا):

جاء النِّداء بـ(يا) التي تُستعمل في نداء البعيد غالبًا تنزيلًا للقريب منزلةَ البعيد للاهتمام بما بعد النِّداء من تبليغ أمرِ الله لهم بالتَّقوى وما بعده.

فائدةُ نداء المؤمنين بوصف العباد المضاف إلى ضمير الله تعالى:

تشريفُ المخاطَبين والاعتناء بشأن المقول

النِّداء بوصف العبوديَّة المضاف إلى ضمير الله تعالى، يؤذن بالاهتمام بما سيقال، وبأنَّه سيقال لهم عن ربِّهم، لا عن غيره،

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 490.

وهذا وضع لهم في مقام المخاطَبة من الله، وهي درجة عظيمة، كما لا يخفى ما في هذه الإضافة أيضًا إلى ضميره سبحانه من تشريفٍ لهم وإعلاء لشأنهم[1].

فائدةُ التَّعبيرِ بجمع الكثرة في قوله: (عباد):

كـثرةُ المؤمنين في أنفسِهم بإيمانهم بالله

عبَّر بجمع الكثرةِ في قوله: (عباد) مع أنَّ أهلَ الإيمان قلَّة؛ للدَّلالة على أنَّهم وإن كانوا قلَّة في العدد، إلّا أنَّهم كثير في أنفسهم بإيمانهم بالله وقوَّة تماسكهم ورباطة جأشهم، فهُم على قلب رجلٍ واحد، وهم يدٌ واحدة على مَن عاداهم، بينما الكفّار كثيرون، لكنَّهم ليسوا على قلب رجل واحد، (تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّى).

نكتةُ حـذفِ يـاء المتكلِّـم المضـاف إليها (عباد) في خطِّ المصحف وعند جميع القرّاء:

انتسابُ المؤمنين إلى اللـهِ مقرَّر ظاهر لا يحتاج إلى ذِكر

حُذِفت ياء المتكلِّم المضاف إلى لفظ العباد في قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾؛ لأنَّ المخاطَبين بهذه الآية هم عبادٌ مخصوصون قليلون، وهم أهلُ الإيمان والتَّقوى، وتقليل الحروف بالحذف أو غيره يدلُّ على نوع قلَّة في المعنى، فاستغنى عن إظهار ضمير يعود عليه تعالى في إضافتهم إليه، ولأنَّ هؤلاء أهلُ قُربٍ ومحبَّةٍ يُخْتَصَر لهم الكلام اختصارًا، مع ما في الحذف من فائدة لفظية؛ إذ قد تُحذف في النِّداء تخفيفًا لكثرة الاستعمال[2].

غرضُ التَّعبير بالاسم الموصول وصلته ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

مـدحُ المخاطَبين بالاسم الموصول وبيان أنَّ سببه تـحـقُّـقـهـم بالإيمان

التَّعبير بالاسم الموصول للإشارة إلى أنَّ الصِّلة علَّة في الحكم عليه بمدح أو ذمٍّ أو غير ذلك، ولمّا كان الغرض الأساس من التَّعبير بالاسم الموصول هنا مدحهم والثَّناء عليهم؛ أشار إلى ذلك بجملة الصِّلة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الَّتي تدلُّ على مدحهم وتشريفهم بالإيمان،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 352، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 246.
(2) ابن خالويه، الحجة، ص: 309.

وبيان سبب أهليَّتهم لأن يكونوا عبادًا لله، وتشريفهم بإضافتهم إليه سبحانه، ثمَّ أن يكونوا أهلًا لتلقّي خطابه الإلهي الَّذي كَلَّف رسولَه ﷺ أن يبلِّغه إيّاهم بالأمر ﴿قُلْ﴾، إنَّه الإيمان الَّذي تحقَّقوا به، فأضاء أفئدتهم، وحكَم سلوكهم، ثمَّ الدَّلالة بما في جملة الموصول مِن "إيماء إلى أن تقرَّر إيمانهم ممّا يقتضي التَّقوى والامتثال للمهاجرة"[1].

نكتةُ حذف متعلِّق الإيمان:

حـذفُ المتعلَّق للعلم به

النُّكتةُ في حذف متعلِّق الإيمان في الآية هو العلم به، بحيث لا يحتاج أن يقال: (آمنوا بي) أو (آمنوا بالله)، وبالأخصِّ أنَّه قد أضافهم إليه في جملة النِّداء، فقال: ﴿يَٰعِبَادِ﴾، وأكثر آيات القرآن في مقام الإخبار لا يذكر فيها المتعلِّق؛ لكونه معلومًا، لكنَّه يذكر في مقام الطَّلب، كما في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [آل عمران: 179]، وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: 136].

دلالةُ الأمر بالتَّقوى بعد ندائهم بوصف الإيمان في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ﴾:

زيـادةُ التَّقوى والمداومة عليها بعـد تحـقُّق أصلها بالإيمان وإن لحقهم أذًى

الأمرُ بالتَّقوى هنا مقصودٌ به طلبُ المداومة على أصلها الذي حصل فيهم كنتيجة لإيمانهم، ثمَّ الاستزادة منها، فالتَّقوى لا حدود لها تنتهي عنده، والتَّزوُّد منها خير ما يتزوَّد به في هذه الدُّنيا، كما قال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: 197]، ومن هذا الباب أيضًا أمْرُه ﷺ بالتَّقوى في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 1]، وثمَّة سببٌ آخر يسوِّغ هذا الأمر بالتَّقوى بعد وصْفِهم بالإيمان الَّذي يدلُّ على أنَّهم متَّقون من قبل، هذا الأمر، وهو كونه يشعر بأنَّهم قد نزل بهم من الأذى في الدين ما يُخشى عليهم معه أن يقصِّروا في تقواهم، وهنالك احتمالٌ آخر هو أن يكونَ هذا الأمر تمهيدًا لما سيوجَّه إليهم من أمرهم بالهجرة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 352.

للسَّلامة من الأذى في دينهم، وهو ما عرَّض به في قوله تعالى: ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾[1].

بلاغةُ حذف المفعولِ المضاف في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾:

الدَّلالةُ على العموم والعلم بالمحذوف بداهة

حذْفُ مفعول الفعل ﴿ٱتَّقُواْ﴾ المضاف إلى لفظ الرَّبِّ في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾؛ للدَّلالة على العموم في المعنى من جهة، والتَّقدير: اتَّقوا غضبَ ربِّكم، اتَّقوا سخطَ ربِّكم، اتَّقوا عذابَ ربِّكم، اتَّقوا عقابَ ربِّكم، وللعلم بالمحذوف بداهةً من جهة أخرى؛ إذ مِن المعلوم بالضَّرورة أنَّ الإنسان لا يتَّقي إلّا ما يضرُّه، ويؤذيه.

بلاغةُ إضافةِ لفظ الرُّبوبيَّة إلى ضمير المخاطَبين:

في إضافة لفظ الرُّبوبيَّة إلى ضمير المخاطَبين تشريف لهم، وإعلاء شأنهم، وترغيبهم في التَّرقّي في مقامات تقوى مَن شرَّفهم بالإضافة إليه سبحانه.

نكتة فصل قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ﴾:

بيانُ المقصودِ من الأمر بالتَّقوى، وتعليل له ولوجوب الامتثال به

سرُّ فصل جملة: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ﴾ وما عطف عليها عن الَّتي قبلها هو كونُها استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّ إيراد الأمر بالتَّقوى للمتَّصفين بها يثير سؤالَ سائلٍ عن المقصود من ذلك الأمر، فأريد بيانه بقوله: ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾، ولكن جُعِلَ قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ﴾ تمهيدًا له لقصد تعجيل التَّكفُّل لهم بموافقة الحسنى في هجرتهم[2]، فينشأ عن ذلك أن يكونَ بين الجملتين المفصولتين شبهُ كمال اتِّصال.

أو فُصلت جملة: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾؛ لكونها تعليلًا للأمر بالتَّقوى أو لوجوبِ الامتثال به[3]، وكأنَّه لمّا أرشدهم إلى التَّقوى؛ كان ذلك

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 352.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 352.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 246.

باعثًا لهم على أن يسألوا: فما لنا إن فعلنا؟ فقال مجيبًا معلِّلًا: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾[1].

بلاغةُ التَّعبير باللّام في ﴿لِلَّذِينَ﴾:

الجمعُ بين عددٍ من المعاني كالاختصاص والاستحقاق وغيرهما

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ يمكن أن تكون للاستحقاق، وقد تكون للملك، وقد تكون للتَّعليل (لام أجل)، ويُحتملُ تكون لغير ذلك، والمعنى: أنَّ هذه الحسنة المذكورة مختصَّة بالذين أحسنوا، أو: لا يستحقُّها أحد غيرهم، أو: هي ملك لهم وحدهم، ولا تُنْتَزَعُ منهم بحال، لامتلاكهم لها، أو: هذه الحسنة كانت لهم لأجل أنَّهم أحسنوا.

غرضُ التَّعبير بالاسم الموصول وصلته:

مدحُ المخاطَبين بالاسم الموصول وصلته، ودلالته على إفادة العموم

غرضُ التَّعبير بالاسم الموصول: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ إفادة العموم، ولذا لم يقل: (اتَّقوا ربَّكم لكم في الدُّنيا حسنة)، وذلك "ليشمل المخاطَبين وغيرهم ممَّن ثبتت له هذه الصِّفة المذكورة في جملة الصِّلة"[2]، وهي جملة ﴿أَحۡسَنُواْ﴾، فهي صلة الموصول، وغرضها مدْحُهم بالإحسان والثَّناء عليهم بتحقُّقه في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ومعتقداتهم، وبيان لكونه السَّبب في أنَّ الله تعالى جعل مكافأتَهم من جنس عملهم؛ إذ قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾، وهو قانون ربّاني عبَّر عنه القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: 60].

وممّا لوحظ هنا: إيراد الإحسان في حيِّز الصِّلةِ دون وروده مع التَّقوى، فلم يقل: (الذين اتقوا) كوروده مع الإيمان قبلَهُ، ثم مع الإحسان بعده، وذلك "للإيذانِ بأنَّه - أي: التَّقوى - من باب الإحسانِ، وأنَّهما مُتلازمانِ، وكذا الصَّبرُ - أيضًا - كما وردَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: 128]، وفي

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 471.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 352.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: 90]"[1].

بلاغةُ التَّعبير بشبه الجملة: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾:

كثرةُ المعاني مع قلَّة الألفاظ

شبه الجملة، أو الظَّرف ﴿فِي﴾، أو الجار والمجرور ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾، يحتمل أن يكون متعلِّقًا بـ ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ - على أنَّه ظرف لغويٌّ - أي: عملوا الأعمالَ الحسنةَ في هذه الدُّنيا على وجه الإخلاصِ[2]، فيكون المقصود من إيراده التَّنبيه على المبادرة بالحسنات في الحياة الدُّنيا قبل الفوات، والتَّنبيه على عدم التَّقصير في ذلك[3]، ويُحتمل أن يكون متعلِّقًا بـ﴿حَسَنَةٌۚ﴾ على أنَّه بيانٌ لمكانها، أو حالٌ من ضميرِها في الظَّرفِ، فالمرادُ بها حينئذٍ الصِّحَّةُ والعافيةُ[4]، فتكون الحسنة هنا قد أريد بها المكافأة في الدُّنيا، وتكون علَّة تقديم الحال على صاحبها التَّنبيه من أوَّل الكلام على أنَّ الحسنة جزاؤهم في الدُّنيا، لقلَّة خطور ذلك في بالهم، فيكون قد ضمن الله لهم تعجيل الجزاء الحسن في الدُّنيا قبل ثواب الآخرة، على نحو ما أثنى على مَن يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة: 201][5].

وعلى الأوَّل يكون قد قَيَّدَ الفعل بالظَّرف، وهو قوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ للإشعار بأنَّ الدُّنيا مكان الإحسان ومزرعة لحرث الآخرة[6]، فالظَّرف هنا قيد أفاد تعيين دار العمل، ولا مانع من أن يتعلَّق بهما معًا في وقت واحد، ويكون المعنى: للَّذين عملوا الأعمالَ الحسنةَ في هذه الدُّنيا حسناتٌ كثيرة في الدُّنيا أيضًا، كالصِّحَّة،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 246.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 246.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 352.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 246.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 352.
(6) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 354.

والعافية، والتَّثبيت على الحقِّ، والاستخلاف في الأرض، وتمكين دينهم لهم، والأمن، ورغد العيش، وغير ذلك، فيكون قوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بيانًا لمكان الأعمال الحسنة وزمانها، وبيانًا كذلك لزمان جانب من جزائها ومكانها والثّواب عليها، على أنَّها مكافأةٌ لهم في الدُّنيا، ويكون مَن ضَمِنَ لهم تعجيل الجزاء الحسن في دار الدُّنيا حقيقًا بأن يعطيهم أعظم الثَّواب والأجر في الدار الآخرة.

نكتةُ التَّعبير باسم الإشارة القريب:

استحضارُ المشار إليه في الأذهان وتمييزه وتعيينه

أوردَ اسمَ الإشارة الدالَّ على القرب في قوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ لتمييز المشار إليه واستحضاره في الأذهان[1].

وزيادة في تعيينه وللإشعار بأنَّ هذه الدُّنيا الدَّنيَّة الوضيعة، لا تطهر الحياة فيها إلّا بالتقديس بعبادة الخالق، والتخلُّق بأوصافه[2]، وعليه، فاسم الإشارة هنا للمدح، وذلك للإشعار بأنَّ دارَ الدُّنيا نِعم الدّارُ؛ إن جُعلت مكانًا للعمل الصّالح وحرثًا للآخرة، أو لتقرير كونِ هذه الدُّنيا دنيَّةً، وأنَّها لا ترقى إلّا بالعمل الصّالح، وهذا من اللَّطائف الخفيَّة والنِّكات السَّريّة[3].

بلاغةُ مجيء (ال) في ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾:

الإشارة إلى المعروف المعهود والدَّلالة على العموم والشُّمول

يجوز أن تكون (ال) في ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ للعهد، والمعهود هي دار الدُّنيا المعروفة التي يعيشها الإنسان وغيره، المقابلة للدّار الآخرة، ويجوز أن تكونَ للاستغراق، فتفيد العموم والشُّمول، ويكون العموم هنا في الأجزاء؛ لأنَّ (ال) الاستغراقيَّة دخلت على مفرد، لا جمع له، فلا يوجد إلّا دنيا واحدة، وهي التي نعيشها، ويكون المعنى: في سائر هذه الحياة الدُّنيا، في كلِّ أماكنها وأزمنتها.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 237، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 354.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 471.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 355.

نكتةُ حذف موصوف ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾:

إرادةُ الوصف بالدُّنيا دون موصوفها

موصوف الدُّنيا محذوفٌ، والتَّقدير: للَّذين أحسنوا في هذه الحياة الدُّنيا حسنة، أو: في هذه الدار الدُّنيا حسنة، وإنَّما ذُكِرَ الوصف بالدُّنيا؛ للدَّلالة على دُنوِّها ودناءتها، مهما أينعت، وأزهرت، وعلت، وارتفعت، وحُذِفَ الموصوف؛ لأنَّه لا قيمة له في الحقيقة، فالدُّنيا لا تُعَدُّ حياة ولا دارًا حقيقةً؛ إذا ما قورِنَتْ بالآخرة، بل حياتها ودارها بالنِّسبة للحياة الآخرة كالعدم.

نكتةُ تنكيرِ المسند إليه ﴿حَسَنَةٞۗ﴾:

الجمع بين التَّعظيم والتَّكثير والدَّلالة على العموم

يمكن أن تكون علَّةُ تنكير المسند إليه ﴿حَسَنَةٞۗ﴾ هي التَّعظيم، فهنالك صفةٌ محذوفةٌ لـ﴿حَسَنَةٞۗ﴾، والتَّقدير: حسنة عظيمة، أو حسنات كثيرة؛ لأنَّه لا يوعَدُ مَن عمل حسنةً في الدُّنيا، حسنةً مطلقًا بل مقيَّدةً بالعِظَم[1] أو الكثرة، ثم إنَّ هذه الحسنةَ قد تكون في الدُّنيا كالصِّحَّة والعافية[2]، وقد تكون في الآخرة، وهي الجنَّة[3]، والنَّظر إلى وجه الله تعالى، ويمكن أن تكونَ علَّةَ تنكيرِ المسند إليه ﴿حَسَنَةٞۗ﴾ إفادة العموم والشُّمول؛ لأنَّ ﴿حَسَنَةٞۗ﴾ نكرةٌ في سياق الامتنان، والنَّكرةُ في سياق الامتنان تفيد العموم والشُّمول، وإن كانت مثبتة غير منفيَّة، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ١٨﴾ [الفرقان: 48]، ويمكن أن يكونَ المراد بالحسنة الحالة الحسنة، واستُغني بالوصف عن الموصوف على حدِّ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة: 201]، وقوله في عكسه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40].

علَّة تقديم المسند، وتأخير المسند إليه:

وإنَّما قدَّم المسند ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ

(1) السمين، الدر المصون: 9/ 417.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 491.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 237.

تقديم المسند للاهتمام وتأخير المسند إليه للتشويق

فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ﴾؛ للاهتمام بالمحسَن إليهم، وأنَّهم أحرياء بالإحسان[1]، وأخَّر المسند إليه ﴿حَسَنَةٞۗ﴾ تشويقًا إلى الجزاء، ويمكن أن يكون الغرضُ من تقديم المسند إفادة الحصر أو الاختصاص؛ أي: للَّذين أحسنوا حسنة وحدهم دون غيرهم، أو أن يختصَّ الذي أحسنوا بهذه الحسنة، فلا يشاركهم فيها أحد سواهم.

بلاغةُ مجيء الواو في ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾:

تعدُّد معاني الكلام وتنوُّعها تبعًا لمعنى الواو

يمكن أن تكون الواو في قوله: ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ للاستئناف، والجملة بعدها مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب، ويمكن أن تكون الواو عاطفة، عطفت ما بعدها على ما قبلها عطفَ المقصود على التَّوطئة، وهو خبر مستعملٌ في التَّعريض بالحثِّ على الهجرة في الأرض؛ فرارًا بالدين من الفتن، ويمكن أن تكونَ الواو اعتراضيَّة، وأنَّ جملة: ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ قد جرت مجرى المثل[2].

فائدةُ وصف الأرض بأنَّها واسعة:

وجوبُ الهجرة على كلِّ مستضعَفٍ مقهور

في إضافةِ الأرض إلى اسم الجلالة، ثمَّ وصفِ الأرض بأنَّها واسعةٌ، فتْحٌ لباب الهجرة على المستضفين وإيجابها عليهم، وإبطالٌ لحجَّة من يقصر في أداء شعائر دينه بحجَّة أنَّه مظلوم مقهور، فلا يعتذر بذلك أحدٌ لتفريطه في الأعمال بالاعتلال بالأوطان، وأنَّه لم يكن متمكِّنًا من التَّوفُّر على الإحسان في أرضه، كأنَّه قيل لهم: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ فيما تأتون به، وتذرون، وتيقَّنوا بحصول أمرين: جزاء الإحسان وفسحة المكان، فهاجروا، وتحوَّلوا إن لم تتمكَّنوا من التَّقوى في أرضكم[3]، وفي هؤلاء المتعلِّلين جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 353.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 353.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 354.

مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ﴾ [النساء: 97].

بلاغةُ الكناية في قوله: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾:

في أرض اللهِ متّسعٌ لمن ضاقت بهم ديارهم

جملة: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ كنايةٌ عن الهجرة حين العسرة[1]، أي: كناية عن لازم قوله: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾، وهو حثُّ المستضعفين المظلومين على الخروج والهجرة فرارًا بدينهم إذا ظلموا، ومنعوا من إقامة شعائره، فإنَّ التَّعبير بكون الأرض واسعةً أمرٌ معلوم، لا يتعلَّق الغرض بإفادته، وإنَّما كُنّي به عن لازم معناه الَّذي سلف ذكره، "ونكتةُ الكناية هنا إلقاءُ الإشارة إليهم بلطف وتأنيس، دون صريح الأمر، لما في مفارقة الأوطانِ مِنَ الغمِّ على النَّفس"[2]، وهذا المعنى الكنائيُّ قد صَرَّح به القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ﴾ [النساء: 97]، وفي قوله سبحانه: ﴿۞وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ﴾ [النساء: 100].

نكتةُ فصل قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾:

الفصلُ للاستئناف البيانيّ، وكونها تذييلًا لسابقتها

فُصِلت جملة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ عمّا قبلَها على الاستئناف البيانيِّ، على أنَّها جواب عن سؤال نشأ عن الوعد بالحسنة، بأن يكون اتَّجه لهم أن يسألوا، ويقولوا: فماذا يكون بعد تلك الحسنة لنا من الأجر حينئذٍ؟ فأجيبوا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، وأيضًا فإنَّها في موقع التَّذييل لجملة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ وما عطف عليها[4]؛ تشجيعًا لهم على تحمُّل

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 492.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 355.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 354.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 354.

مشاقِّ الهجرة عن الأوطان، والصَّبر عليها طمعًا في أجر الصّابرين الَّذي هو بغير حساب.

بلاغةُ القصر ونوعه وغرضه:

تأكيدُ ما للصّابرين من الأجر العظيم غير المعدود بأسلوب قصر القلب

قولُهُ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ بأسلوب القصر الَّذي دلَّت عليه أداته ﴿إِنَّمَا﴾ دالٌّ على أحقيَّتهم لهذا الأجر العظيم، الذي لا يُحسَب، ولا يُعَدُّ لعظمه، وهو من قصر الموصوف على الصِّفة، وهو قصرٌ إضافيٌّ، وهذا الحصرُ المستفاد من ﴿إِنَّمَا﴾ متَّجه إلى القيد الأخير، وهو قوله: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ والمعنى: ما يوفّى الصّابرون أجرهم إلّا بغير حساب؛ لأنَّ (إنَّما) فرع (ما) و(إلّا)[1] معًا، وهو (قصر قلب) مبنيٌّ على قلب ظنِّ الصّابرين أنَّ أجْرَ صبرِهم بمقدار صبرِهم، أي: إنَّ أجرَهم لا يزيد على مقدار مشقَّة صبرهم[2].

دلالةُ التَّعبير بالتَّوفية:

عدمُ نقصِ أجر الصّابرين عمّا ينبغي أن يكون عليه

التَّوفية: إعطاء الحقِّ أو الأجر وافيًا غير منقوص، والاستيفاء أخذه وافيًا غير منقوص، وفي التَّعبير بالتَّوفية هنا دفْعُ ما قد يتوهَّمه البعضُ من احتمال نقصان أجر الصّابرين عمّا ينبغي أن يكونَ عليه.

علَّة بناء الفعل لما لم يُسَمَّ فاعله:

العلمُ بالفاعل والدَّلالة على العموم

إنَّما بُنِيَ الفعل ﴿يُوَفَّى﴾ لما لم يُسَمَّ فاعله للعلم به من جهة؛ إذ الَّذي يعطي الناس أجورهم على أعمالهم في الآخرة هو الله تعالى، وللدَّلالة على عموم توفيتهم أجورهم، وعدم قدرة أيِّ أحدٍ كائنًا من كان على نقصانها.

نكتةُ مجيء (ال) في ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾، وسرُّ العدول فيها:

(ال) في ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ موصولة تفيد العموم، أي: تشمل، وتَعُمُّ

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 354.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 354.

كلَّ أفراد الصّابرين، وليس المخاطَبين في الآية فقط، ولذا عدل عن المضمر إلى المظهر لأجل هذا؛ إذ كان المقتضى أن يقال: (توفون أجوركم بصبركم)، وهو ما علَّله الطَّيبي بقوله: وضع ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ موضع الضَّمير للغلبةِ[1]، أي: ليفيد العموم، فيشمل جميع الصابرين في كلِّ أنواع الصَّبر، لكن على أن يدخل فيهم دخولًا أوَّليًّا الصابرون على ألم المهاجرة[2].

الدَّلالة على العموم؛ ليشمل كلَّ الصابرين

دلالةُ التَّعبير باسم الفاعل الجمعيّ ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾:

أوثِرَ التَّعبيرُ بـ ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ باسم الفاعل دون التَّعبير بالفعل؛ للدَّلالة على ثباتهم على الصَّبر، وأنَّه لاعتيادهم تحمُّل الشَّدائد والصَّبر عليها صار الصَّبر كأنَّه فيهم سجيَّة وطبعٌ حاضر عند كل ملمَّة.

الدَّلالة على أنَّ الصَّبر فيهم طبعٌ وسجيَّةٌ

سرُّ إيثار ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على المتَّقين:

إيثارُ التَّعبير بـ ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على التَّعبير بـ (المتَّقون) راجعٌ إلى أنَّ المقصودَ خصوص الصّابرين، وليس عموم المتَّقين؛ تأكيدًا على فضيلة الصَّبر الَّذي هو أمرُّ الأخلاق وأشدُّها على النَّفس، وتنويهًا بشأنه؛ لكون الحاجة إليه دائمة، فالطاعات مفتقرةٌ إلى الصَّبر؛ لضمان دوام الاستمرار عليها، والبُعد عن المعاصي أيضًا مفتقرٌ إليه؛ ليعينَ المرءَ على نفسه وهواها، وشدائدُ الدُّنيا وقسوتها تحتاج في تحمُّلها صبرًا جميلًا يعينها عليه، فخُلُق الصَّبرِ إذًا هو مطيَّة المؤمن وسبيله إلى النَّجاح في كلِّ ما يواجهه في معترك هذه الحياة من خير أو شرٍّ، ولهذا كان جزاء الصّابرين أخصَّ من جزاء غيرهم، ففيهم وحدهم قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾.

الصَّبر أخصُّ من التَّقوى؛ إذ يشمل التَّقوى وزيادة، والتَّأكيد على فضيلة الصَّبر

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 355.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 237.

أو للإيذانِ بأنَّ المتَّقين حائزونَ لفضيلة الصَّبر كحيازتهم لفضيلةِ الإحسانِ، لما أشير إليه من استلزام التَّقوى لهما، مع ما في التَّعبير بـ ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ من زيادة حثٍّ على المصابرةِ والمجاهدةِ في تحمُّل مشاقِّ المهاجرةِ ومتاعبها[1]، أي: إنَّ التَّعبيرَ بالصَّبر يشمل التَّقوى وزيادة.

نكتةُ إضافة الأجرِ إلى ضمير الصّابرين:

اختصاص الصّابرين بهذا الأجر

إضافةُ الأجر إلى ضمير الصّابرين هي إضافة اختصاصٍ، فهذا الأجرُ الَّذي لا يُحسَب، ولا يُعدُّ، ولا يُكال، ولا يوزَن ليس لأحدٍ سواهم، ولذا لم يُذكر في القرآن الكريم لغيرهم، وذلك لما في الصَّبر من مشقَّة في تحمُّل الشَّدائد.

بلاغةُ التَّعبير بشبه الجملة في قوله: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾:

صحَّة هذا الوصف للصّابرين ولأجرهم

قوله: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ الجارُّ والمجرور متعلِّق بمحذوف في موضع الحال، إمّا مِن الأجر، أي: إنَّما يوفَّون أجرهم كائنًا بغير حساب، وذلك بأن يُغرف لهم غرفًا، ويُصبَّ عليهم صبًّا، وإمّا من الصّابرين، أي: إنَّما يوفَّون ذلك كائنين بغير حساب ولا سؤال على ما عملوا في الدُّنيا، والمرادُ على الوجهين المبالغة في كثرة الأجر[2] مِن جهة، والمبالغة في فضلهم ومكانتهم عند الله تعالى، بما يدلُّ عليه من عدم حسابهم، وعدم سؤالهم يوم القيامة على ما عملوا مِن أعمال في الدُّنيا.

نكتة تنكير ﴿حِسَابٖ﴾:

الدَّلالة على العموم

قوله: ﴿حِسَابٖ﴾ نكرةٌ في مقام الامتنان، ثم إنَّها أُضيفت إلى كلمة فيها معنى النَّفي، وهي (غير)، وكلٌّ منهما يفيد العمومَ، مع ما في تنكير لفظ ﴿حِسَابٖ﴾ من التَّفخيم والتَّعظيم.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 246.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 237.

بلاغةُ الكنايةِ في قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

على القول بأنَّ قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حال من المفعول، الذي هو الأجر، فيكون تعبيرًا كُنّي به عن الوفرة والكثرة والتَّعظيم؛ لأنَّ الشَّيء الكثير لا يُتصدّى لعدِّه، والشَّيء العظيم لا يُحاط بمقداره، فإنَّ الإحاطة بالمقدار ضربٌ من الحساب، وذلك شأن ثواب الآخرة الَّذي لا يخطر على قلب بشر[1]، وقيل: هو تمثيل للتَّكثير[2].

الدَّلالةُ على الكثرة التي من شأنها ألّا تُعَدَّ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصَّبر والرِّضا والشُّكر:

الصَّبر: حبسُ النَّفس على تحمُّل الشَّدائد والمكاره والمصائب، وقيل: إنَّما سُمّي الصَّبر صبرًا؛ لأنَّ تمرُّره في القلب وإزعاجه للنَّفس، كتمرُّر الصَّبر في الفم[3]، وهو أكثر الثَّلاثة شيوعًا في سلوك الإنسان، وهو داخل في كلِّ خُلُق، وله في كل حالة اسم: " فاسمه الصَّبْر في المُصيبَة، وأمّا في المُحارَبَة؛ فَهو شجاعة، وفي إمساك النَّفس عَن الفضول قناعة وعفَّة، وفي إمساك كَلام الضَّمير كتمان، فاختلاف الأسامي باختلاف المواقع"[4].

الرِّضا أخصُّ من الصَّبر والشُّكر، وأعلى منهما

والرِّضا: قيل: هو سرور القلب بِمُرِّ القضاء[5]، وقيل: طيب النَّفس بما يصيبها، ويفوتها مع عدم التَّغيُّر[6]، والرِّضا مترتِّب على الصَّبر لتوقُّف الرِّضا عليه، واستحالة ثبوته بدونه[7].

والشُّكر: عبارةٌ عن معروف يقابل النِّعمة، سواء كان باللِّسان أو باليد أو بالقلب، وقيل: هو الثَّناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبدُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 355.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 118.
(3) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص: 58.
(4) الكفوي، الكليات، ص: 560.
(5) الجرجاني، التعريفات، ص: 111.
(6) المناوي، التوقيف، ص: 178.
(7) ابن القيم، مدارج السالكين: 1/ 153.

يشكر الله، أي: يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة، والله يشكر العبد، أي: يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته[1].

وقيل: الشُّكْرُ: تصوُّر النِّعمة وإظهارها، قيل: هو مقلوب عن الكشر، أي: الكشف، ويضادُّه الكفر، وهو: نسيان النِّعمة وسترها[2].

وهذه الثَّلاثة (الصَّبر والرِّضا والشُّكر) من أعلى مراتب الأخلاق وأرفع مقامات السُّلوك، وبعضها يترتَّب على بعض، فكلٌّ من الصَّبر والرِّضا والشُّكر داخلٌ في حقيقة الآخر، ومتلازم معه، فالرِّضا لا يكون إلّا عن صبرٍ، والشُّكر لا يكون بدون الصَّبر والرِّضا.

(1) الجرجاني، التعريفات، ص: 128.
(2) الراغب، المفردات: (شكر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»